وفاة / حسام زهير يوسف على الرغا

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، لا مرّ أمره، والحكم حكمه، بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، جعل لكل بداية نهاية، تفرّد بالبقاء وحكم على خلقه بالفناء قال جلّ شأنه: "كلّ نفس ذائقة الموت" سبحانه جعل الموت حقيقة واقعة، وقدرًا محتومًا على كلّ مخلوق، يموت الصالحون، يموت الصادقون، يموت الجبابرة، يموت ذوو الهمم العالية يموت الصغار، يموت الكبار، يموت الشباب، يموت الكهول.. الكلّ يموت. إذا جاء أجله: "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا" الكلّ يموت في مكان لا يعرفه: "وما تدري نفس بأيّ أرض تموت" وأشهد أن لا إله إلا الله ابتلى عباده بالمصائب موعظة واعتبارًا فجعلها محكًّا لمعادن الرّجال وصبرهم على المواجع والآلام، فبشّر الصابرين منهم بالرحمة والرضوان: قال جلّ شأنه: "ولنبلونّكم بشيء.."

والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، إمام الصابرين والمحتسبين وقدوة المتعظين والمعتبرين، ورافع لواء الحمد إلى يوم الدين، خشع قلبه، وبكت عينه على فراق ولده ابراهيم قال: "إنّ القلب ليحزن والعين لتدمع، وإنّا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون"

أيّها الإخوة المستمعون أيّها الإخوة في الله:

في هذه اللحظات، نقف مودّعين التّوديع الأبديّ الأخير بقلوب مفعمة بالحزن، ولكنّها مؤمنة بقضاء الله وقدره، نودّع ابنًا شابًّا مسلمًا

من أبناء أمّة محمّد قضى نحبه في رحلة العلم قضاها بين الوطن والاغتراب طالباً طموحاً دمث الأخلاق، بعيداً عن مظاهر الرياء والنفاق قضاها سلطاناً إلى تحقيق غايات نبيلة في ظل رضا الله وعلى مستوى الأمّة المحمّديّة الصابرة المجاهدة، جاء في الحديث القدسي: "أيّها الشابّ التارك شهوتك، المذلّل شبابه فيّ.. أنت عندي كبعض ملائكتي"

أيّها الإخوة في الله.. أيّها الإخوة المودّعون

إنّنا حينما نودّع هذا الفقيد الغالي فإنّنا يجب أن نستلهم العبر الآتية:

أوّلاً: أنّ الموت هو مصيرنا جميعاً وأنّ الله هو الذي يحرّك الأقدار بخفايا علمه: "قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا"

ثانياً: أنّ الموت هو لحظة اللاعودة، إذ إنّ الروح تفارق الجسد بأمر ربّها وهنا تتعطّل قدراتنا، وتحار مفاهيمنا، وتعجز علومنا، وتشلّ سطوتنا.

ثالثاً: أنّ الرافق الوحيد للمتوفّى هو عمله، حيث لا ينفعه مال ولا بنون ولا أهل ولا أصدقاء.

رابعاً: أنّ نفيق من الغفلة، ونعلن التوبة، ونضع الموت نصب أعيننا في كلّ لحظة.

خامساً: أنّ الحياة الدّنيا نعيم زائل، وأضغاث أحلام، وسراب وأوهام...

سادساً: أن نضيف إلى مخزون الصبر والتحمّل واليقين والتشبّث رصيداً متجدّداً مهيّئين أنفسنا، إعداداً كاملاً للقاء الله بنفوس مطمئنّة وقلوب سليمة.

سابعاً: أن نأخذ من هذا السكون الأبدي اليقظة الكاملة والموعظة الحاسمة والدّرس البليغ في محاربة الشهوات، ومقاطعة النزوات، والتقدّم على كلّ ما فات، حيث إنّ هذا السكون يعلن في كلّ لحظة وداع أنّنا صائرون إلى الله وراجعون إليه.

ثامناً: أن نقلع عن التشبّث الرهيب بالأنانيّة المستحكمة والذات المتضخّمة مغلقين ملفّات الخمول والتواكل وملفات الزهو والتقاتل وملفات المنافع والمطامع أيّها الإخوة المودّعون.

أيّ موعظة أكثر شمولاً من الوقوف متأمّلين في فراق نفس بذّتها وصنائعها وطموحاتها، وقد تحوّلت إلى رفات هامدة فاحصرت كلّ آمالها، وطموحاتها؟

أليس في هذا درس بليغ للمتكالبين على المطامع وللمتنافسين على المنافع ولهثها لكي على المناصب؟

أليس في ذلك لجم لألسنة الكذب، وكبح لجماح الغرور، وحبّ الظهور؟

أليس في ذلك ردع للمتطاولين، والمتجاوزين، والمتجبّرين الظالمين؟

إنّنا مطلوبون بأن نغتنم [redacted] قبل موتنا في عمل الخير بما فيها من طيب وصحة وغنى وفراغ"

(2-3)

- نودّعك يا حسام بقلوب حزينة، ولكنّها مؤمنة بقضاء الله وقدره
نودّعك يا حسام داعين ومترحمين، فقد وَدَّعْتَ هذه الدنيا وودّعتك، لم تهلك
فهذا هو قدرك، بعد أن استنفدت دورك وسكبت شآبيبك
وأذبت حرارتك في مسيرة انطلاقتك نجماً ثاقباً ~~الت~~ سرعان ما التمع
وسرعان ما انطفأ!!

عزاؤنا فيك: أنّه لا مكان للخلود في هذا الوجود وأنّ كلّاً منا ينتظر
دوره في سفرة الخلود.

إلى اللقاء يا حسام في مستقرّ رحمة ربّ الأنام ..
~~أما أنتم يا [illegible]~~ - صبراً وعزاءً فالمصيبة
واحدة يا كل ذوي [illegible] والفرد مشترك، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- اللهم ثبّته عند السؤال.
- اللهم أكرم نزله.
- اللهم أنزله قبره.
- اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته
- اللهم عوّضه في شبابه خيراً.
- اللهم طيّب ثراه واجعل الجنّة مأواه

يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربّك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنّتي.

إنا لله وإنا إليه راجعون